سلسلة كلمات من نهج البلاغة

٢

اخلاق الامام علي عليه السلام

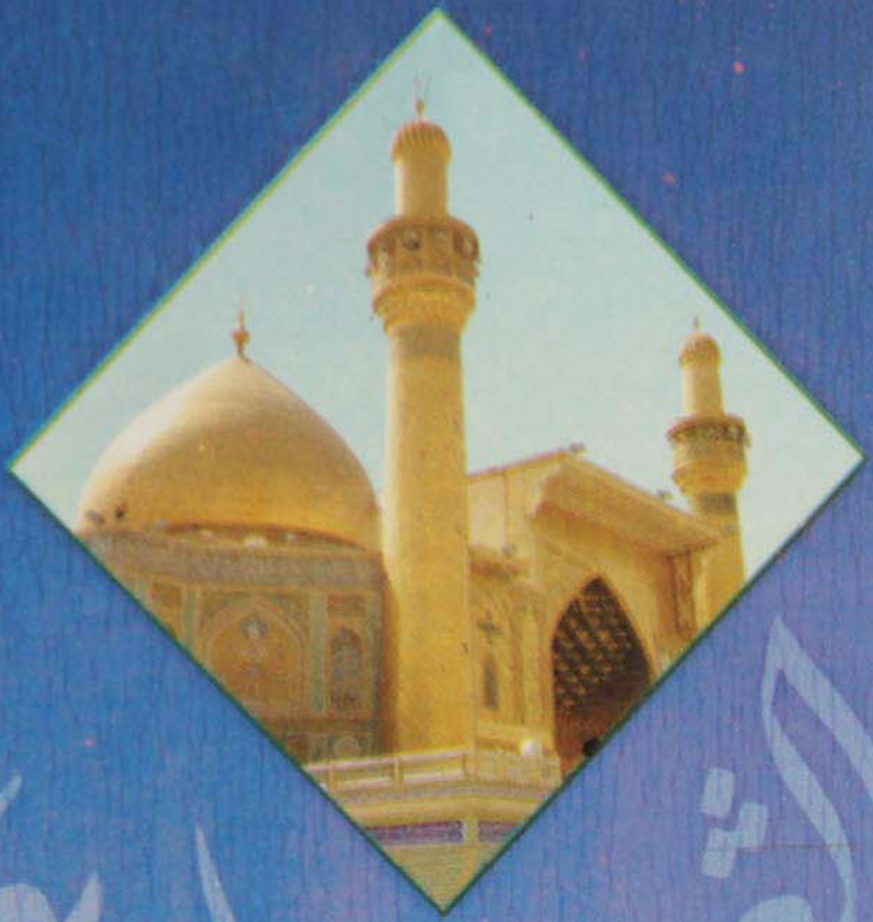

٩
٥
٥٣
المختصة

اعداد: قسم الشؤون الفكرية والثقافية

www.haydarya.com

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨١٦٠٩
٩/١-/١٩

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة كلمات من نهج البلاغة

الإصدار الثاني

أخلاق الإمام علي

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

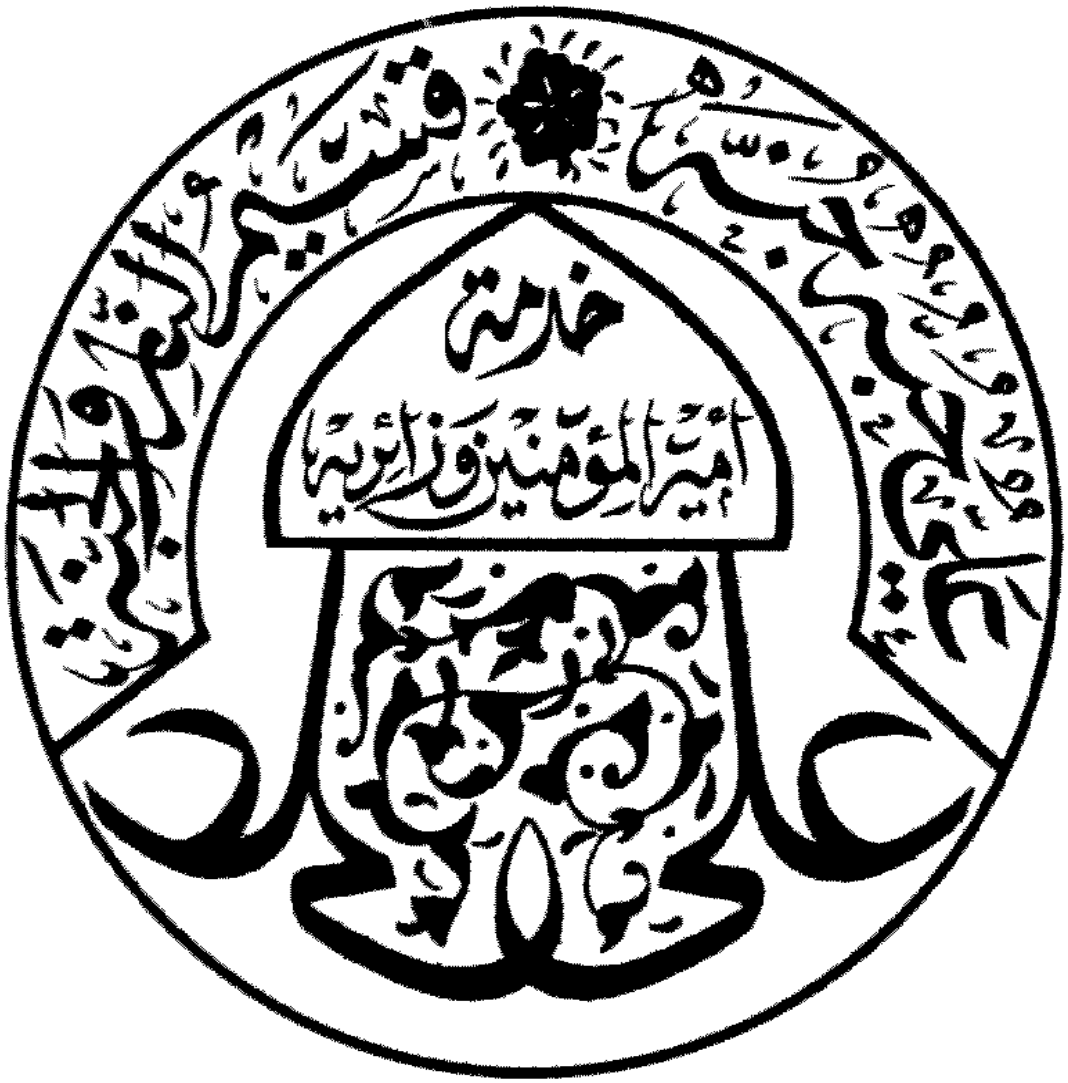
خادمة
أمير المؤمنين وزائريه

هـذه مجموعة مـقتبسة من حكم
أمير المؤمنين عليه السلام مختارة من نـهج
البـلاغـة مشـروحة بـشكـل يـناسب
الفهم العام .

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٢٨ هـ

عندما أتاح لهم هذه الكلمات الموجزة الألفاظ الجزلة المعاني، ليسهل حفظها وفهم معانيها والعمل على تطبيقها عملياً ومن خلال مواقع الحياة كافة ولاسيما ميادين العلاقة المباشرة بين أفراد المجتمع، كونها هي المعبِّرة عن الأخلاق و الطبايع والسجايا، أكثر مما تعبر عنه حالات أخرى غير مباشرة .

لذا فمن الضروري حتى نكون صادقين في علاقتنا بالإمام عليه السلام وانتمائنا إليه والعمل على تطبيقها على أنفسنا ثم على مجتمعنا القريب كالأسرة داخل البيت وعلى البعيد كالأصدقاء والزملاء والجيران وغيرهم، نسأله تعالى أن يعيننا على ذلك بما يعين به الصالحين على أنفسهم انه ولي ذلك والقادر عليه.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين وبعد...

فهذه مجموعة مختارة من الكلمات القصار للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشروحة بما يتلاءم مع الفهم العام حتى لا يصعب الاستفادة من مضامينها الشريفة لأوسع ما يمكن، لنتفيأ جميعاً ظلال الإمام عليه السلام وننتفع بهذه الحكم المباركة لما تعنيه من أهداف تربوية إصلاحية، وإننا اليوم في حاجة ملحّة للاغتناء من هذه الثروة العلوية، التي تعكس لنا مدى اهتمامه عليه السلام بالأمة حيث سعى لإصلاحها والمشاركة في تهذيب النفوس حتى لمن لم يعاصروه،

تركه إلى الوراء والتقدم بكل ثقة إلى التصافي والتسامح والتغافل عن الإدانة مهما عظمت، وبخلاف ذلك يحدث العكس فقد ينتصر عليه حالاً لكنه يندم دائماً لأن في هذه الحالات يتدخل الهوى ويحاول التحكم، وهنا يعرف الإنسان نفسه، ومدى تطبيقه للمُثُل، وسيطرته على نفسه، وأيضاً يستطيع الآخرون تقييمه من خلالها لأنها حالات حرجة صعبة.

ولا يفهم من هذا التشجيع على الاستسلام والاستخذاء بل العكس تماماً لأن لحظة الانتصار والظفر مما يتمناها كل مظلوم أو مضطهد ولكن ليعرف أنه لم يحصل عليها إلا بفضل الله سبحانه فلينشغل بشكره وذكره عما تحدثه نفسه في حالات الغطرسة والتعالي وإظهار الشماتة والتنكيل

من كلام

أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

قال عليه السلام :

﴿ إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه ﴾

دعوة إلى العفو عند المقدرة والتسامح، وترغيب إلى إشاعة الوئام والائتلاف، إن ذلك كله يقوم على ركيزة نبذ الأحقاد وعدم متابعة الأهواء خصوصاً وإن الظفر بالعدو أو مطلق الخصم له سيطرة على منافذ التفكير فلا يرى الظافر إلا نفسه ولا يسمع إلا نداء العاطفة، وأن : هذه ساعة طالما طلبتها وتمنيتها فلا تفوتها وانتصر منه وتغلّب عليه كما تغلب عليك .. كل ذلك ينبغي

وذاك العبد، لأن الله تكفل برزق كل المخلوقات، لكن مَن يُحسن التعامل في الأخذ ويكون أليق من غيره يُزاد ويُغدق عليه عرفاناً بحسن تعامله.

وهذه النقطة الوحيدة التي يتفاوت فيها كل المخلوقين مما ندركه بحواسنا وما لا ندرك، الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فكلٌ يعبر عن شكره بطريقته الخاصة وبذلك يتفاوتون مما يتيح الفرصة للازدياد وقد قال تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٧)

بما يوضح لنا ميزان التعامل في استحقاق المزيد.

نعم، رزقه مضمون لكن زيادته مشروطة بالشكر وإدامته لأنه قد تشاء الحكمة الإلهية اختبار عبد معين من خلال زيادة النعمة فإذا لم يتعامل معها

والتبكيت ... وبهذا يكسب رضا الله ويحمي نفسه من النار لو اعتدى عليه بما لم يفعله معه فيكون تجاوزاً وظلماً. ويحميها أيضاً من متابعة الهوى الغلاب فيكون بطلاً في نظر العقلاء لأنه صَرَعَ هواه ولم يصرعه هواه وقد سَيَطر عليه ولم يسيطر عليه هواه.

قال عليه السلام :

﴿إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر﴾

الدعوة إلى الشكر وحُسن المعاملة مع ما ينعم به الله سبحانه على عباده لأن ذلك متواصل بفضله ومنّه إلا أن قلة الشكر فضلاً عن إعدامه يؤثر سلبياً في إعدام النعمة وتحجيمها بما يتناسب

الندم والملامة، فإن كثيراً من هذه الحالات تهزم الإنسان من الداخل ويكون اتكالياً فلا يتعود الاعتماد على نفسه بل يبقى خاملاً يريد من الآخرين حل مشكلاته والقيام بواجباته وأدواره. وسيتحول بالتالي إلى إحباط نفسي لا يشعر الفرد لنفسه أية قيمة يمكنه الركون ـ من خلالها ـ إلى ما يقرره. هذا هو المحذور الذي حذّر منه الإمام عليه السلام بقوله فإن شدة توقّيه أعظم مما تخاف منه، لما يجرّه من تأثير سلبي على شخصية الإنسان.

قال عليه السلام :

﴿اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات﴾

الدعوة إلى موازنة تصرفات الإنسان وأن يفكر ويتأمل جيداً فيما ينوي القيام به من أعمال

بالمناسب سُحبت منه تدريجياً حتى يشعر بتقصيره، وهذا الأسلوب من أنجح الأساليب لتقدير النعمة من المنعِم والمنعَم عليه.

قال عليه السلام :

﴿ إذا هبْتَ أمراً فَقَعْ فيه ، فإنَّ شدة توقِّيه أعظم مما تخاف منه ﴾

الدعوة إلى زيادة الثقة بالنفس، وترك التردد الذي يؤدي إلى عدم الاستقرار، واهتزاز الشخصية، مما يؤثر في اتخاذ القرار لأنه ينبغي للإنسان أن يحسب النتائج ويتوقع للمستقبل لئلا يُفجأ بشيء لم يستعد له، ثم ينفذ ويعمل لأنه جاء أمراً مدروساً مخططاً له، ولا بد ألا تثنيه احتمالات الفشل وتوقعات الخيبة وعدم النجاح وتحسبات

محاولاته لسد الأفواه. والسر في هذا الشياع بالرغم من التكتم هو تجرؤه على حُرُماتٍ لم يكن مأذوناً له بها فكان جزاؤه الفضيحة و شياع الأمر بالشكل الذي لا يخدمه في كثير من الحالات والمجالات.

ومن هذه الدعوة نعرف مدى حرص الإمام عليه السلام على صيانة المؤمن وحفظه عن كل ما يشينه فاستعمل معه أسلوباً يُقِرُ به كل عاقل ويتجنب تبعاته كل إنسان يلتزم بمبادئ.

ومن أجل أن نكون أمام الواقع علينا أن نفكر ونحسب المردود والمكسب من أي عمل محظور نقوم به، ثم نقارنه مع المردود السلبي من جرائه كالمساءلة الإلهية، أو القانونية، أو الاجتماعية... لنعرف الناتج بأنفسنا

ممنوعة شرعاً أو عرفاً أو قانوناً بكل ما لها من لوازم تترتب على ذلك العنوان.

لأن خلاف ذلك يجعل الإنسان في وضع حرج وأمام مساءلة ومحاسبة عن تصرفاته الشخصية، بينما لو توازن في تصرفاته ولم يتجاوز الحدود المرسومة بحدود دائرته كإنسان، مسلم، ملتزم، متحضر، مثقف، محافظ على سمعته الاجتماعية ... فإذا لم يتجاوز - كان آمناً من هذه المساءلة.

ولذا فالإمام عليه السلام يهتف لكل مَنْ يُقْدم على عمل غير لائق : إن يحسب للأمر حسابه ولا ينساق وراء غضبه، شهوته، رغبته، مصلحته الشخصية، مراهنته ... لأنه لا تراجع بعد الآن لالتصاق التهمة والتَبِعَة به مهما كان عنوانه الاجتماعي أو

صداقاتهم لينتفعوا من ورائها مادياً أو معنوياً.

وأما على خلافه فالخسارة الفادحة حتمية لأنه موقف حساس تتغلب فيه العاطفة والعصبية والمنافع والأطماع. فلا بُدَّ من أن نبقي الطريق مع الله سالكة لأننا ننتفع من خلاله كثيراً.

والالتزام بهذه الدعوة يحقق مكاسب مريحة على صعيد الحياة الاجتماعية لمن يهمه إصلاح المجتمع وتقليل فرص الفساد والتخريب فيه ومنه.

وبالطبع الإمام عليه السلام في مقدمة المهتمين بذلك ولنكن معه في هذه الخطوة الرائدة.

قال عليه السلام:

﴿ أزرى بنفسه من استشعر الطمع ورضي بالذل مَنْ كشف عن ضُرِّه، وهانت عليه نفسه مَنْ أمَّرَ عليها لسانه ﴾

قال عليه السلام :

﴿ أزْجُرْ المسيء بثواب المحسن ﴾

الدعوة إلى التعود على إشاعة الإحسان والمداومة على فعل الخير وتعميم سُبُلِهِ وطرقه وموارد الانتفاع به لكل أحد لما يتضمن هذا التصرف من كسب للمعتدي لأنه سيرتدع عن عمله عندما يقابله خصمه بالإحسان ولو لمرات متعددة حتى يؤثر فيه عمل الإحسان وفعل الخير لأنه بالتالي يؤثر فيه عمل الإحسان وفعل الخير لأنه بالتالي يؤثر ولو نسبياً.

وأيضاً فيه كسب للصديق لأنه عمل يحبّه ويرضاه مما يجعله أكثر تماسكاً وتآخياً واحتراماً وهذه أمور ينشدها الجميع أو الأغلبية في

ويحذر عليه السلام من:

٢ - الكشف عن الضر الذي هو الشدة والضيق وسوء الحال كما هو معروف لأن ذلك يؤدي إلى الامتهان من قبل الآخرين لإطلاعهم على واقع الحال مما لا يجعله في الدرجة الأولى في الترتيب الاجتماعي سواء أكان المكشوف عنه الضر في البدن أم في المال. فإن الإنسان عموماً وبحسب طبيعته (يطغى) وينسى نفسه وأن من الممكن جداً أن يصاب بمثل ذلك فيعمد إلى التشفي إن كان حاقداً أو تحديث الغير ممن لا يُرغب باطلاعهم - عادة. لأن ذلك من الأسرار الشخصية فاللازم عدم كشف الضر، والصبر على البلوى مع السير في طريق حلها بالسبل الصحيحة لأن الإنسان في الدنيا يُمتحن ليظهر جوهره ويتبين معدنه فيُعرف

يحذر عليه السلام من عدة أمور:

١ - الطمع وهو الحرص على الشيء فإن مَنْ تكن عادته في الحياة الحرص على تحصيل كل شيء واجه في سبيل ذلك المهانة والمقت لأن ذلك لا يلائم الآخرين فيُزجر ويُحتقر. والسبب في ذلك عدم سيطرة الإنسان على رغباته. فينبغي أن يتعود المسلم القناعة والاكتفاء بالميسور والسعي وراء المفقود فيكافح ويحصل عليه بطبيعة الحال وهو أمر مستساغ جداً لأنه مقتضى الطموح. والمعروف لدى كل عاقل أن الكرامة والمحافظة على الرصيد الاجتماعي أثمن من كل شيء ولذا نلاحظ الدفاع عن ذلك حتى بالنفس والمال العزيز. فهو أمر غريزيٌ فلا بد أن لا يضيعه الإنسان نتيجة حرصه على تحصيل ملذة أو مراد.

ولذا قد ورد الحث الأكيد الكثير على ضبطه وتقييده بضابطة : مراقبة الله تعالى ومراعاة الآخرين وإلا فيؤدي بصاحبه إلى أصعب المواقف وأحرج الحالات.

فلذا نجد أنه عليه السلام يؤكد أن مَنْ يترك لسانه ينطق بما جرى عليه وبما اشتهى فنفسه عليه هيّنة غير محترمة و إلا لانعكس ذلك الاحترام والصون على تصرفاته.

قال عليه السلام :

﴿ أزهد في الدنيا يُبَصّرْك الله عوراتها ولا تغفل فلستَ بمغفول عنك ﴾

الدعوة إلى الحذر وأخذ الاحتياطات اللازمة لخطر يحدق بالإنسان ـ مهما كان ـ فينبغي التيقظ والعمل دائماً على مدافعته لئلا يأخذ

حاله، لانقسام الناس ـ عادة ـ إلى جيد ورديء، مؤمن وغير مؤمن، صبور و جزوع، من يتجاوز العقبات بسهوله ومَنْ يتوقف عند أول عَقَبَة، ... إذاً نحن بحاجة إلى اكتشاف المواهب وكشف الحقائق لنتعامل مع كلٍ وفق المناسب واللائق لئلا يضيع حق أحدٍ.

ويحذر عليه السلام من:

٣ - اللسان الذي هو آلة النطق والذوق والبلع أو تناول الغذاء. فلما كان هو آلة النطق ولا طريق للنطق وإصدار الأصوات المفهومة إلا من خلاله فكانت المخاوف منه والمحاذير مجتمعة من جرائه لئلا يفلت عن وثاقه ويكون المحذور. وهذا المحذور يتشكل بأشكال مختلفة باختلاف الأشخاص والحالات الزمانية والمكانية.

ويرى نجاته فيعضّ إصبعه من الندم وما هو بنافعِهِ. لأن الآخرة دار جزاء ولا عمل والدنيا دار عمل، ولا جزاء.

والمتأمل في دعوته عليه السلام هذه يجده يدله على أمر خفي وهو : أن الزاهد في الدنيا والتارك لها والمعرِض والمتجافي منها وحامل راية السلبية ومعلن الحرب ضدها يجد عورات وعيوباً ومفاسد ومساوئ ومخازي .. مما لم يكن يتوقع فيحمد الله تعالى أن نجاه وأبعده عن ذلك كله. وما ذلك إلا بمتابعة النظام الصحيح للحياة الفضلى التي أرادها الإسلام للمسلمين، لأنه عرف أنه مراقَب مرصود لا يُغفل عنه فلا يمكن التستر لأن المراقب مطّلع على السرائر.

فرصته في التمكن من الإنسان والاستيلاء عليه ... وذلك هو الاغترار بالدنيا والوثوق بوعودها وزخرفتها وما تزينه من ملاذ وبهارج تخطف الأبصار بل القلوب أيضاً، ولا يقتصر ذلك على مجال أو وسيلة بل يغتر كل بحسب توجهه فلا ينجو إلا من اعتصم بالله فعصمه وحماه منها لأنها مزلقة تؤدي إلى الهاوية ... ولا يُعلم لها منتهى أو غاية فالمدى بعيد حتى يخرج الإنسان عن طاعة الله، وحتى يندم حيث لا ينفع فيتركه الشيطان وشأنه يوم لا ينفعه ترُكه، فهو لم يتركه في الوقت الذي يمكنه التدارك ... ولم يخلصه كما كان يغريه في الدنيا.

ولذا يشعر الإنسان بالندم والذلة والانكسار والفشل خصوصاً إذا رأى من اعتصم بالله فعصمه

الصدق، الاحتيال، التجاوز على حق الغير، الاعتداء وعدم احترام الغير، وعدم الأمانة ...

مما يكثر حدوثها في مختلف المجتمعات إلا ما قلَّ حتى عُدنا نستغرب له لو سمعنا بأن إنساناً في مجتمع ما يلتزم بمواعيده أو لا يتجاوز على حق غيره أو يصدق في تعامله أو لا يحتال أو أو مما تفتقده بعض المجتمعات ولا نتجاوز لو قلنا منها المجتمع المسلم وللأسف، مع إننا محصنون حيث بُرمجت حياتنا العملية ـ خصوصاً ـ ببرنامج دقيق يضمن لكل الأطراف حقوقها المعنوية والمادية وذلك من خلال النصوص الشرعية، ولكن حدثت بعض التراجعات نتيجة الإنشداد، والإعجاب، والإصغاء إلى مَنْ لا يستحق كل ذلك فآمنوا بوعود كلامية وهمية تركوا ضمانات فعلية

وهذه الحالة تجعل من الإنسان، إنساناً تقياً ورعاً مبتعداً عن الحرام والشبهات وهو ما يسعى لتحصيله العاقل بشتى الطرق ومختلف الوسائل لأنه الطريق المُرضي والمَرضي.

قال عليه السلام :

﴿ الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به ﴾

التنبيه إلى أمر يكثر استعماله في المجتمع وهو كثرة الاعتذار مع أن الفرصة كانت مواتية لأن لا يحتاج الإنسان إلى ذلك بل يبقى عزيزاً كريماً لا يشعر بحاجته إلى إصلاح شيء تجاوز فيه.

ولو تنبه الإنسان لذلك ووعى هذه الفكرة جيداً فسيساعد - حتماً - على تقليص حالات سلبية كثيرة في المجتمع من حواليه : خلف الوعد، وعدم

الصدق، الاحتيال، التجاوز على حق الغير، الاعتداء وعدم احترام الغير، وعدم الأمانة ...

مما يكثر حدوثها في مختلف المجتمعات إلا ما قلَّ حتى عُدنا نستغرب له لو سمعنا بأن إنساناً في مجتمع ما يلتزم بمواعيده أو لا يتجاوز على حق غيره أو يصدق في تعامله أو لا يحتال أو أو مما تفتقده بعض المجتمعات ولا نتجاوز لو قلنا منها المجتمع المسلم وللأسف، مع إننا محصنون حيث بُرمجت حياتنا العملية ـ خصوصاً ـ ببرنامج دقيق يضمن لكل الأطراف حقوقها المعنوية والمادية وذلك من خلال النصوص الشرعية، ولكن حدثت بعض التراجعات نتيجة الإنشداد، والإعجاب، والإصغاء إلى مَنْ لا يستحق كل ذلك فآمنوا بوعود كلامية وهمية تركوا ضمانات فعلية

وهذه الحالة تجعل من الإنسان، إنساناً تقياً ورعاً مبتعداً عن الحرام والشبهات وهو ما يسعى لتحصيله العاقل بشتى الطرق ومختلف الوسائل لأنه الطريق المُرضي والمَرضي.

قال عليه السلام :

﴿ الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به ﴾

التنبيه إلى أمر يكثر استعماله في المجتمع وهو كثرة الاعتذار مع أن الفرصة كانت مواتية لأن لا يحتاج الإنسان إلى ذلك بل يبقى عزيزاً كريماً لا يشعر بحاجته إلى إصلاح شيء تجاوز فيه.

ولو تنبه الإنسان لذلك ووعى هذه الفكرة جيداً فسيساعد - حتماً - على تقليص حالات سلبية كثيرة في المجتمع من حواليه : خلف الوعد، وعدم

يعلمه غيره مهما كان فإننا نشاهد ونسمع ونقرأ عن اختراعات متطورة سواء أكان في بناء البشرية أم في تدميرها إلا أننا علمنا في ذات الوقت عجز المخترعين عن إيجاد سر الحياة وعن إعطاء حالة تشابه في مفعولها الروح لأن ذلك مما اختص الله تعالى به. وهذا كله يدل على عظمته وقدرته مما يدعو إلى الإيمان بالله وعدم الابتعاد عنه.

فالمقصود من هذه الحكمة دعوة الإنسان إلى أن يستغني عن العذر والاعتذار بالالتزام وعدم التفريط لكي يبقى في موقع الرفعة ليحافظ على عزته. وهو أمرٌ يحرص على تحقيقه كل عاقل.

حقيقية، ألا يسمع هؤلاء قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (الجن:١٦)

وهم يرون بعقولهم وعيونهم صدق وعده الله تعالى إنه :﴿ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران:٩)

لأن كل ما حول الإنسان يؤكد هذه الحقيقة.

فيرى الإنسان المسلم ماذا حل ويحل بالكافر والمنحرف عن طريق الله تعالى

كما يرى الإنسان الكافر ماذا يتم ويحصل للمسلم الذي حسُن إسلامه بل ومَنْ لم يحسن، لأن نِعَم الله تعالى، ودفع الله تعالى، وتدبيره، وتسديده، وتهيئته، كل ذلك مما يعجز عنه عقل عاقل بل وغيره من وسائل العصر الحديث الموصوفة بالدقة. وذلك الأمر بسيط جداً لأنه ترك سر ذلك إليه لا

ذلك ـ تماماً ـ بل يلزم التواضع وعدم إشعار الآخذ بكل ما فيه حساسية بحيث تخجله ويحس بوضعه المتدني إزاء غيره فتُحْدث له عُقدة يسعى للتخلص منها ولا نضمن صحة الطريق الذي يسلكه للتخلص، فقد يستولي على أموال الغير بدون وجه صحيح كالسرقة والاحتيال والقتل والغش و .. و .. فنخسر بذلك عنصراً صالحاً ـ بحسب طبيعته ـ ضاع منّا بسبب حب الأنا والتسلط الذي يجر الإنسان إلى مواقف غير محمودة.

الثاني: أن الله تعالى الذي يجزي فلا نتوقع الشكر المكافئ من الآخذ وإنما كان الدفع توقعاً لزيادة الرزق، فإذا عرفنا أننا الرابحون قبل الآخذ فسيزداد العطاء ونسيطر ـ نسبياً ـ على حاجة الفقراء وهذا أمر يحرص عليه الإمام عليه السلام بل كل

قال عليه السلام :

﴿ إستنزلوا الرزق بالصدقة ﴾

الدعوة إلى أمر اجتماعي بالغ الأهمية حيث يكفل حاجة شريحة ليست بالقليلة في أغلب المجتمعات وذلك هو الصدقة، وطبيعي أن تستفيد منها شريحة الفقراء والمعوزين.

والصدقة : عطية يُراد بها المثوبة لا المكرمة. وبتعبير آخر: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة.

فإذا عرفنا أن الصدقة تعطى طلباً للأجر والثواب تقرباً لله تعالى فسنعرف أمرين:

الأول: إنْ لا يصاحبها استعلاء وامتنان على المدفوع له لأن الدفع كان لأجل فائدة ينتظرها الإنسان وهي توسعة الرزق، وحالة الاستعلاء تنافي

السرقة، القتل، الاحتيال والتزوير، أكل أموال الغير بلا وجه شرعي .. فإن كل واحدة من هذه ونحوها كفيلة بإسقاط الإنسان في الهاوية وتعريضه للمساءلة الإلهية وهذا ما نتعوذ منه.

قال عليه السلام :

﴿ أشد الذنوب ما استهان به صاحبه ﴾

التنبيه على أمر كثيراً ما يصدر من الناس عامة ولا يقدرون عواقبه السيئة، وذلك هو الاستهانة بالذنب فان الإنسان قد يذنب لأن المعصومين من البشر معدودون وهم: الأنبياء والأئمة الإثنا عشر مضافاً إلى الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن عداهم فمعرض للخطأ وارتكاب الذنب.

المصلحين بمختلف مراتبهم لأنه يسدّ ثغرة كبيرة صعب السيطرة عليها لولا (الصدقة) وفي المقابل يضمن عليه السلام للدافع المتصدق زيادة الرزق وسعته، وهذا ما يسعى إليه الجميع لأن شغلهم في الحياة الدنيا توسيع مصادر التموين وتكثير الربح فقد هيأ الإمام عليه السلام ذلك ببدل بسيط حيث أن الدافع إنما يدفع القليل. مهما كثر. إزاء عطاء الله تعالى، إذن فالرابح هو المتصدق أكثر من الآخذ الفقير.

فإذا توفرنا على هذين الأمرين كان من الممكن أن تسخو نفوسنا بالدفع لننتشل شريحة كبيرة في المجتمع من واقع الفقر ولنساعدهم على تكوين وضع مناسب فيتساوى الجميع في العمل وإن لم يتساووا في الرزق لأن ذلك بتقدير الحكيم الخبير.

وعندئذ نضمن عدم الفتنة بكل أشكالها:

من ذنوبنا ولا نصر عليها وكأنها أمر نعتز به، إنما ذلك من تسويلات و تصويرات الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

وإنا نعلم جميعاً أن كل تجاوز ومخالفة يعاقب عليه في القوانين السماوية أو الوضعية إلاّ أن يستسمح، بعدما يشعر الإنسان بسوء عمله فتعطى له فرصة تصحيح خطئه لكن ذلك على نطاق محدود مثل: الجاهل الذي لا يعلم بالتشريع ولم يسعه التعلم بحكم طبيعة وضعه الاجتماعي أو الجغرافي وهو ما يسمى بـ(القاصر) ومَنْ عداه فيترك الأمر لتقدير المقنِّن والمشرِّع فإن رأى أن من المصلحة والحكمة العفو عنه، عفا عنه ليكسبه لصف المبدأ الذي يتخذه ويدعو إليه، و إلا فيطبق عليه القانون بحذافيره ليرتدع هو وغيره.

فإذا صدر منه ذلك فان تاب منه واستغفر فتشمله رحمة الله تعالى ويسعه عفوه ومغفرته أما إذا استهان ولم يعتبره ذنباً يستحق الاستغفار لأنه لم يدرك أنه تجاوزٌ وتقصيرٌ ينبغي التراجع عنه وعدم الإصرار عليه، على أساس إن غيره يذنب ما هو أكبر من هذا وما هو أشد ونحو ذلك من المقايسات التي ورد النهي عنها لأن كل ذنب ـ مهما صغر ـ كبيرٌ إزاء الخالق تعالى لأنه أنعم على الإنسان بالوجود وبما يستفيد منه في الحياة من حيوان أو نبات أو جماد فلا يناسب أن يقابل ذلك بالجحود والتضييع وعدم المبالاة لأن ذلك مما يسبب ـ حتماً ـ الحرمان والضياع وهو ما يخشاه كل عاقل.

أذن علينا أن نَعِي هذا التحذير جيداً فنستغفر

إذن فنخلص إلى لزوم الحذر من الوقوع في الذنب وإذا ما حصل ذلك فيلزم الاعتراف والاستغفار وعدم الإصرار عليه لأنه يشكّل حالة سلبية...

قال عليه السلام :

﴿ إضاعةُ الفرصةِ غصةٌ ﴾

التنبيه لأمر يهم كل أحد لأننا نتسابق في مضمار الحياة لتحقيق الأهداف والأماني والغايات وربما يتجاوز البعض فيحاول ويسعى لتحقيق ما لا رخصة فيه، كل ذلك تحقيقاً للذات.

ولكن قد تفوت على الإنسان مجالات لتحقيق الذات والإبداع كثيرة وكان هو من أسباب الفوات فالإمام عليه السلام يركز على هذا الشأن حتى لا يبقى

والذنب لغة: الجُرم، ويستعمل في كل فعل يُستوخم عقباه اعتباراً بذَنَب الشيء ولهذا يسمى الذّنْبُ تَبِعة اعتباراً لما يحصل من عاقبته.

ومن هذا التعريف اللغوي نعرف أن الذنب حالة تأخر تحصل عند الإنسان ولا يشعر بذلك الكثير إذ ذنب الحيوان يكون في مؤخرة جسده كما هو معروف وقد أُخِذَ الذَنْب من ذلك كما عرفنا فيما تقدم ولا أحسب أن عاقلاً أياً كانت ثقافته يرضى بأن يكون بهذه الحالة التي تعتبر جُرماً يعرضه للمساءلة والمحاسبة كما تعتبر مؤشراً على تأخره في مستوى تفكيره وعمله، لأن الله تعالى عندما خلف الإنسان اختار له أحسن مستوى إذ جعله عاقلاً فإذا لم يحافظ على ميزان عقله الصحيح نعرف أنه متأخر عن هذا المستوى المتقدم.

فعلينا جميعاً أن نتهيأ لما نريد وذلك ببذل الجهد المطلوب لتحقيق المراد إعداد السبل الكفيلة بإنجاز الغرض. لئلا نكون مقصرين و تفوتنا فرص الحياة فتبقى غصة ذلك مدى العمر، وكما علينا أن نحسن استخدام العقل الذي وهبنا تعالى لنضمن الحصول على أفضل النتائج.

قال عليه السلام :

﴿ اعتصموا بالذمم في أوتادها ﴾

يبين عليه السلام في هذه الحكمة أمراً يحتاج إليه غالب الناس. فان الإنسان محتاج إلى سند وقوة وضمان يرتكز عليه عند الحاجة وكانت هذه الأمور كثيرة شائعة في زمنه ولم تقل أهميتها في زمننا إلا نسبياً للتفكك الأسري الحاصل في بعض المجتمعات خصوصاً المتمدنة والمنشغفة بحب التطور السريع

الإنسان متخلفاً عن ركب الحضارة والتقدم أو عن مسار أقرانه ثم يندب حظه، أو أن هذا هو (المقسوم) له من الله تعالى.

نعم كل أحد له (مقسوم) لكن الله تعالى لم يلجئنا إلى عمل أو اختيار أي شيء مهما كان بل ترك الأمر واضحاً جلياً لنختار وفق قناعتنا ورغبتنا بلا مؤشر خارجي لعلمه تعالى بوجود شريحة اجتماعية تُحَمِّل نتائج فشلها في الحياة وعدم تحقيق الأهداف: الآخرين، ولو بأن يتظاهروا بالتسليم لأمر الله تعالى مع انه فسح المجال وهيأ السبل للجميع ولم يختص أحداً بفرصة على حساب غيره بل أعطى كلا حسب كفاءته وانسجامه مع الحالة الصحيحة التي تدعم مسيرة الحياة.

أخذنا بنظر الاعتبار ما يفرضه الالتجاء والتعاهد من تبعية فكرية، ثقافية، سياسية، اجتماعية، وحتى اقتصادية فيكون المعاهد المعتصم تحت الشعاع لا يستطيع التغيير أو التغير. فنخسر المبادئ الصحيحة وهذا أمر صعب جداً لأنه يؤدي إلى انهيار في الأخلاق مما يعني التنازل وعدم الأهمية لما نشأنا عليه من أخلاق صحيحة طيبة.

وغالباً ما يحتاج إلى التعاهد الغريب، قليل العُدّة والعدد، ضعيف الجانب وان كثر عدده أو عدته، فإذا لم تلاحق هؤلاء التعاليم الإسلامية فيعني ذلك ضياعهم خصوصاً و أنهم يعانون من أزمات نفسية تجعلهم مهزوزي الشخصية قليلي الإرادة فينصاعون لما يفرض عليهم من شروط فيكون المقابل للحماية ـ أحياناً ـ هو التخلي عن

المفاجئ والتي تحسب كل دعوة إلى التروي والتمهل وأداً لفكرتهم وعرقلة لخطواتهم.

وهذه الحاجة تحتم على الفرد أو المجتمع ان يتكتل ويجتمع مع الآخرين. وهؤلاء - الآخرين - ليسوا على نسق واحد ولا نسج متماسك فقد يلتجئ الإنسان إلى من لا عهد عنده ولا صدق ولا وفاء ولا إيمان بكل هذه المبادئ فيخسر نفسه لأنه إما أن يفشل في محاولته أو يؤثر ذاك الطرف فيه، وفي كلتا الحالتين يترك الأمر ثقلاً على نفسيته وتوجهه الفكري.

فهي دعوة إلى اختيار الجهة المناسبة ليكون الاستناد إلى ركن وثيق ومأوى أمين، وذلك محافظة على الأخلاق الصحيحة والمبادئ الراسخة في النفوس لئلا تتأثر بالاحتكاك خصوصاً إذا

لنتعرف على أن الإنسان ليس له أن يتعدى المسموح به لأن تأشيرة الدخول أو اللجوء أو بطاقة الإقامة ونحو ذلك من الوثائق الرسمية الممنوحة تساوي الذمم التي عبر بها عليه السلام، فلا بد لمن يريد الإفادة منها أن يكون دقيقاً في تعامله معها فلا يتجاوز ولا يزور ولا يخالف، ولو لم يرق له الحال فيمكنه الاستبدال ببلد آخر، وما عدا الالتزام فيعد ناقضاً للذمة وهو ما لا يجوز ولا يسوغ شرعاً وقانوناً وذوقاً.

قال عليه السلام :

﴿ الإعجاب يمنع من الازدياد ﴾

الإعجاب مشتق من العُجْب وهو لغة: الزهو، الكبر. والزهو الفخر، التيه والكِبر: الظلم،

الأخلاق والمبادئ وهو أمر خطير جداً يخشى من عواقبه الوخيمة على المسلمين كافة فينبغي حسن الاختيار والاعتصام بأهل الصدق والأمانة والوفاء لو دعت الحاجة الملحة بحكم الظروف إلى ذلك الاختيار.

كما ويمكن أن نستشف من الحكمة بعض ما ينفع في هذه المرحلة التي كثر الاغتراب فيها، لتبرز قضايا ما كانت على الساحة بشكلها الواضح، ومن تلك القضايا: الالتزام بقانون بلد اللجوء والإقامة حيث يفترض قانونياً عندما يمنح حق الدخول والإقامة لشخص - أن يحترم القانون ويطبقه ما دام في الحدود الدولية للبلد وبعكسه فيتعرض للمساءلة أو المعاقبة، فيلاحظ أن ما قاله الإمام عليه السلام، يمكن تطبيقه على هذا المورد الجديد

فيريد أن يجعل حالة تسابق مشروع وشريف لدى الأفراد إذ كثيراً ما يندفع الفرد إلى الإنتاج إن شعر بمساواة غيره له فيحاول التقدم، وأيضاً يندفع إن وجد التشجيع سواء المعنوي أو المادي.

واعتقد أن هذه المتابعة من الإمام عليه السلام تعتبر دافعاً ومحفزاً نحو الأمام ليتطور وضعنا ومن ثم الوضع المحيط بنا فننجح في خلق جو حماسي ناتج، مثمر، يتقدم فيه البعض على البعض الآخر بمقدار ما ينجزه وبما يرفد به غيره من خدمات تحسن وضع المواطنين له.

ولعل مما يشير إلى هذا التسابق والجو للحماس ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من النصوص التي تؤكد على هذا المعنى ضمن إطار قضيتها الخاصة.

وبحصول أحد هذين الأمرين يقصر الإنسان عن تحقيق المزيد من الطموحات وعن تعديل مستواه الإنتاجي والاجتماعي لأن تصوره في حالة معينة انه حقق ما لم يحققه غيره مما يعني التقدم فهو غير محتاج إلى المواصلة والعطاء.

وهنا يكمن الخطر لأن روح التقاعس متى سرت في جسد الإنسان سوف يثنيه عن تقديم الأفضل أو البحث عن الأفضل لظنه أن ما أنجزه هو الأفضل فلا داعي لاستكشاف غيره.

ولما كانت مسؤولية تنظيم دور الإنسان في الحياة من المسؤوليات المنوطة بالقادة المصلحين الموجهين، نجد أن الإمام عليه السلام يشير إلى أهمية الطموح والتطور والمواصلة وبذل الوسع في إيجاد المزيد وعدم الاقتصار على المنجزات السابقة.

حسنة سيحصل على مبادلة مرضية ـ إلا ما شذ وندر من المبتلين بأهل سوء ـ وإذا حققنا هذا العامل المهم في حياة الرجل ضمنّا حالات تقدم في مسيرة الحياة كثيرة، لاستقراره النفسي وارتياحه العائلي فيكافح من أجل تحقيق الأفضل وهذا هو الهدف. إذن تلتقي كل التوجيهات الإصلاحية ضمن خط تحسين الإنتاج وتقديم الأفضل.

ونحو هذين المثالين غيرهما أيضاً مما يكون حاثاً على كيفية معينة تتكفل بجانب من جوانب الحياة الاجتماعية سواء الفردية أو العائلية.

ومما ينبغي فهمه أن العُجْب يختلف عن العَجَب، فان العَجَب: (انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه أو استطرافه أو إنكاره ما يرد عليه) فهو أمر طبيعي، بينما العُجْب أمر

فمثلاً قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الذي يثير في الإنسان حالة الارتقاء والسمو بنفسه وسلوكه واختياراته وانفعالاته ضمن حالة التقوى التي يهتم بها الكثير بل الغالب إلا أنها متفاوتة الدرجات فكل بمقدار جهده وما يتوافر عليه من عوامل ضبط النفس ـ بمفهومها العام الشامل لمصاديق متعددة متكثرة ـ يحصل على درجة مناسبة.

ومثلاً ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) الذي يحفز نحو حالة تسعد وترضي كل الأطراف وتبعث على ارتياح النفوس لأن الإنسان المسؤول عن إدارة البيت إن سعى لمعاملة عياله ـ سواء الزوجة أو الأولاد ذكوراً أو أناثاً أو غيرهم ممن يعاشر ـ معاملة طيبة

أداء المزيد تؤثر في خفض معدل الإنتاج ونوعيته وهو ما يضر مرافق الحياة كافة، لأن كل فرد في المجتمع هو عضو مساعد على تنمية روح الحياة والتفاعل فتعمر الأرض وتدوم الحياة.

مذموم لأن يُعوّد الإنسان على ما لا ينفعه بل يحجّمه ولا ينميه وهو مع ذلك يخسره الكثير من الأصدقاء أو الإنتاج.

فلذا ينبغي للإنسان العاقل إذا دخله شيء من العُجب أن يتعوذ بالله تعالى من شر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء. ويواظب على ذكر الله تعالى. ويتذكر أعمال ومنجزات غيره ليعرف انه سوف يكون كغيره. وأهم شيء في معالجة داء العُجب أن يتواضع للغير لتتعادل لديه الكفتان: كفة الإعجاب بالنفس، وكفة استصغار المنجزات وأنها بجنب عظمة الله تعالى وما خلقه شيء ضئيل.

فالدعوة إذن إلى الجد والاجتهاد ومواصلة الإنتاج لأن حالة الرضا عمّا أنجز مع التكاسل عن

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨١٦٠٩
٩/١٠/١٩

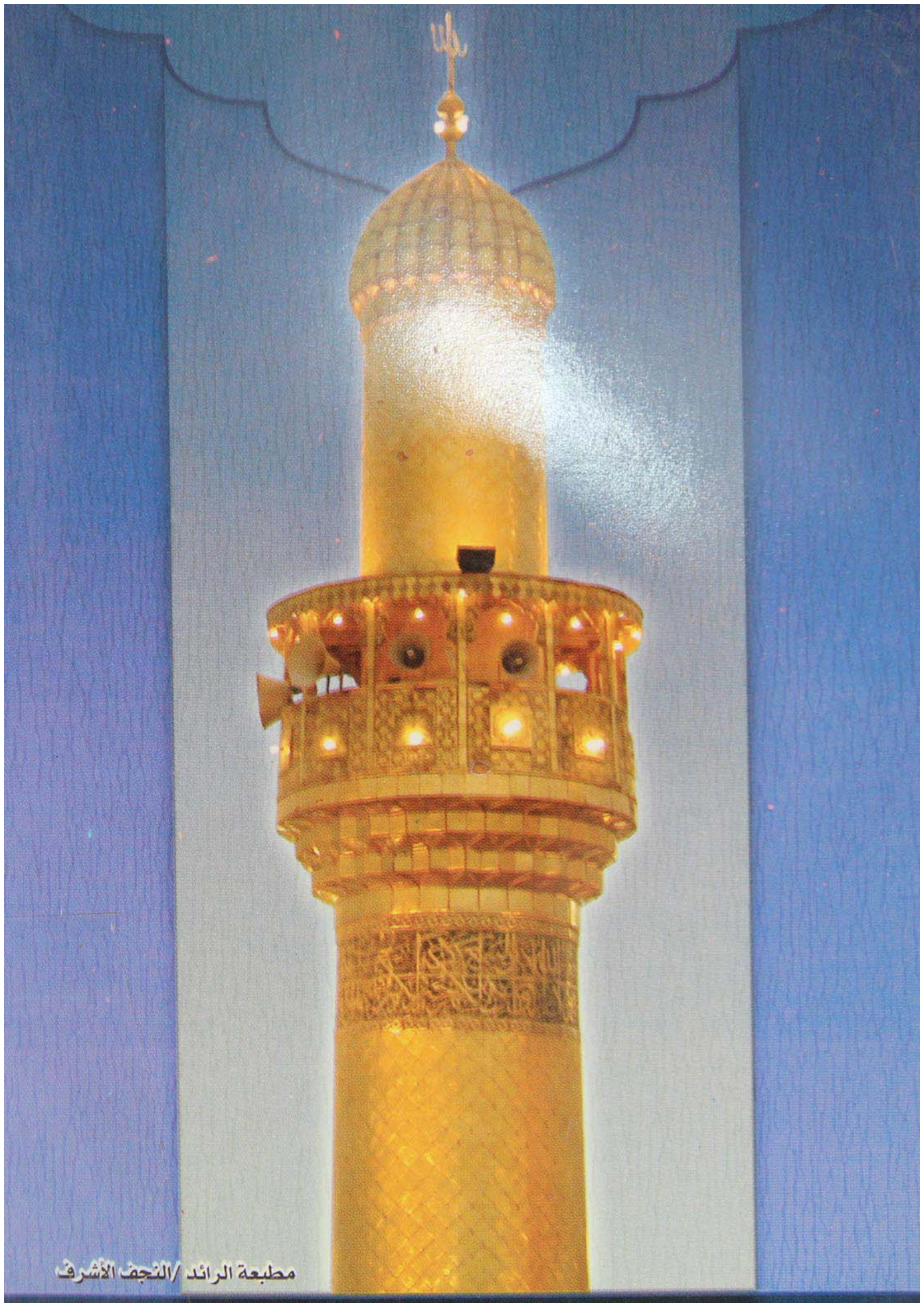

مطبعة الرائد /النجف الأشرف